

## عشية الاستذكار والنزوع نحو المستقبل

### قراءة في نونية امرئ القيس

أ.م.د. نصرت صالح يونس

أ.د. يسرى اسماعيل ابراهيم

جامعة الموصل

كلية التربية للعلوم الإنسانية

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٨/٩/٢٠٢٠ ، قبل للنشر في ٨/١١/٢٠٢٠)

#### ملخص البحث:

إن أغلب النصوص الأدبية وبمختلف أجناسها ارتكزت على وحدات الزمن الثلاث (الماضي-الحاضر - المستقبل)، وعلى الرغم من كثرة الدراسات النقدية في هذا المجال، إلا أن باب التأويل مازال مفتوحاً؛ لما تحمله النصوص الأدبية، لاسيما النص الجاهلي من رؤى نقدية متعددة، فجاء اختيارنا لدراسة نونية امرئ القيس (لمن طلل...) معللين سبب رؤية الشاعر لعبث الحركات الاستذكارية والحنين إلى الماضي وفي الوقت ذاته اندفاع الشاعر نحو المستقبل وطلبه الملمات فيه، ليتضح سعي الشاعر نحو تغييب الماضي والحاضر لينصب جلّ اهتمامه بالمستقبل والنهل من ملذاته، وقد نفجرت هذه الرؤية جراء وعي الشاعر بحتمية الفناء، فاندفع نحو المستقبل واغتراف ملذاته ما استطاع الى ذلك سبيلاً.



## **The Absurdity of Recall (Nostalgia) and the Tendency towards Future Reading in Imru' al-Qais's Nuniyya**

**Prof. Dr. Yousra Ismail Ibrahim      Assist. Prof. Dr. Nasrat Saleh Younes**  
**University of Mosul**  
**College of Education for Girls      College of Education for Humanities**  
**Dept. of Arabic language**

### **Abstract:**

The majority of literary texts and their various genres are based upon the three units of tense (past, present and future). Despite the fact that there are many critical studies in this field, yet, there is still a room for interpretation since those literary texts, especially pre-Islamic ones, are loaded with various critical visions. As such, we chose to study Imru' al-Qais's Nuniyya addressing the very reasons for the poet's vision of the absurdism of the mnemonic movements as well as nostalgia and at the same time his precipitancy towards future and its pleasures which indicates the poet's pursue to neglect both past and present laying a tremendous interest to future and the pursue of its pleasures. This vision gushed out due to the poet's consciousness of the inevitability of death, therefore surging towards future trying, as possible, to win as much of its pleasures.

## المقدمة

إنّ الباحث في الأدبيات العالمية يجد انها انشغلت كثيراً بدراسة الزمن في النص الادبي، ولكن على الرغم من كثرة الدراسات فإنّ باب الدراسات الأدبية حول الزمن لا يزال مفتوحاً نظراً لثراء النص وقبوله لتأويلات شتى، وقد حاولنا في هذه المقاربة أن ندرس ظاهرة في نص لإمرئ القيس ذو بنية طقوسية ثلاثية الشرائح تحمل طابعاً مغايراً للنص الثلاثي، إذ إن هذه القصيدة تتجاوز الماضي وتتجه نحو المستقبل، وقد قامت خطة البحث على تمهيد تحدثنا فيه عن الرؤى المتباينة في موقفها من الزمن وآناته الثلاث سواء على مستوى الثقافة أو الافراد مبينين سبب اعلاء ثقافة ما آنة من آنات الزمن على بقية آناته، ثم تلا التمهيد قراءة للنص معلة سبب رؤية الشاعر لعبث الحركات الاستنكارية والحنين الى الماضي وفي الوقت نفسه عن سبب اتجاه الشاعر نحو المستقبل والدعوة الى نهب الملذات الآنية، ثم قدّمنا خاتمة لأهم النتائج التي توصل اليها البحث واتبعناها بقائمة بأهم المصادر التي اعتمدها البحث في قراءته.

لَمِنْ طَلَّلْ أَبْصَرِيهِ فَشَجَانِي  
دِيَارٌ لَهْنَدٍ وَالزَّبَابِ وَفَرْتَنِي  
لِيَالِي يَدْعُونِي الْهُوَى فَأَجِيبِهِ  
فَإِنْ أَمْسٍ مَكْرُوباً فَيَا رَبِّ بُهْمَةٍ  
وَإِنْ أَمْسٍ مَكْرُوباً فَيَا رَبِّ قِينَةٍ  
لَهَا مِزْهَرٌ يعلو الخميس بصوته  
وَإِنْ أَمْسٍ مَكْرُوباً فَيَا رَبِّ غَارَةٍ  
عَلِي رَبِّذٍ يَزْدَادُ عَفْواً إِذَا جَرَى  
وَيَخْذِي عَلَى الصَّمِّ صِلَابٍ  
وَعَيْثُ مِنَ الْوَسْمِيِّ حَوْ تَلَاعِهِ  
مَكْرَ مَفْرَ مَقْبَلٍ مَدْبِرٍ مَعاً  
إِذَا مَا جَنْبِنَاهُ تَأْوُدَ مَتْنِهِ  
تَمْتَعُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَاِنْ

كخَطَّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ  
لِيَالِينَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانٍ  
وَأَعْيُنُ مَنْ أهُوَى إِلَيَّ رَوَانٍ  
كشفتُ إِذَا مَا اسْوَدَّ وَجْهُ الْجَبَانِ  
مَنْعَمَةٌ أَعْمَلْتُهَا بِكَرَانَ  
أَجَشَّ إِذَا مَا حَزَكَتُهُ الْيَدَانِ  
شَهَدَتْ عَلَى أَقْبِ رَخْوِ اللَّبَانِ  
مَسَحَ حَثِيثَ الرِّكْضِ وَالذَّلَّانِ  
شَدِيدَاتٍ عَقْدَ لِينَاتِ مَتَانِ  
تَبَطَّنْتَهُ بِشِظْمِ صِلَتَانِ  
كَتَيْسِ طِبَاءِ الْحَلِّبِ الْعَدَوَانِ  
كَعَرَقِ الرِّخَامِي اهْتَرَّ فِي الْهَطْلَانِ  
مِنَ النَّشَوَاتِ وَالنِّسَاءِ الْحَسَانِ

من البيض كالآرام والأدم كالدمى  
أمن نكر نيهانية حلّ أهلها  
فدمغهما سكب وسخ وديمّة  
كأنهما مزادتا متعجّل  
حواضئها، والمبرقات الرواني  
بجزع الملا عيناك تبتدران  
ورش وتوكاف وتنهلان  
فريان لّمّا تُسلقا بدهان

### التمهيد

إذا كان الزمن ذا أقسام ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، فإنّ هذه الأقسام ليست متقاطعة تماماً، فالماضي وإن كان حدثاً متكامل الدلالة، والحاضر يسهمان في تضويء المستقبل، ولكن الرؤية الانسانية تباين موقفها من آتات الزمن الثلاث، سواء على المستوى الجمعي أو الفردي، فهناك ثقافات تُعلي الماضي على الحاضر والمستقبل يتجلّى هذا في خلق اسطورة القرون الخمسة التي قسّمت الأزمنة التي مرّت بالإنسانية الى خمسة أقسام أولها الذهبي وخامسها الحديدي<sup>(١)</sup>، أي الزمن الذي تعيشه البشرية أبان خلق تلك الأسطورة، والحديدي في الأسطورة يعني أقلّ المعادن ثمناً وهذا يعني أنّ حاضر الانسانية اسوأ بكثير من فجر البشرية الأول. فحين أن هناك تيارات اهتمت باحاضر واستغراقت فيه<sup>(٢)</sup>، والتي تنشغل بالحاضر ولا تهتم بالماضي أو تترقب المستقبل فهي كما يقول الخيام<sup>(٣)</sup>:

واغنم من الحاضر لذاته      فليس في طبع الليالي الأمان

وهناك تيارات جعلت جُلّ اهتماماتها متوجها للمستقبل كما هو الحال عند الأفلاطونية المحدثّة<sup>(٤)</sup>.

وقد شكّل التباين في موقف الثقافات من آتات الزمن الثلاث عوامل اجتماعية واقتصادية ودينية، هذا على المستوى الثقافي، أمّا على المستوى الفردي فإنّ الذات الانسانية في اغلب الاحيان تحمل نزوعاً نحو الماضي ويتباين هذا النزوع من شخص الى اخر، ويشكّل حدّة هذا النزوع الشرط التاريخي والاجتماعي الذي تعيشه الذات الى جانب

(١) خمسة العصور الانسان في الأساطير اليونانية وفقاً لهيسود: [www.greelane.com](http://www.greelane.com)

(٢) رباعيات الخيام، ويكيبيديا . [Atzim.wikipedia.org/wiki](http://Atzim.wikipedia.org/wiki)

(٣) سورين كير كيجارد - رؤية بيديا [index.www.roayapedia.org](http://index.www.roayapedia.org)

(٤) مائدة افلاطون: [index.www.roayapedia.org](http://index.www.roayapedia.org)

حركة الصيرورة. وقد انعكست هذه المواقف على النتائج الابداعي فكان للزمن والموقف من آناته حضور كبير في النتائج الابداعي. وقارئ الشعر العربي يجد أن أغلب الشعراء يعلون الماضي على الحاضر والمستقبل حتى قيل ((ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب))<sup>(٥)</sup> وإذا كانت مقولة ابن عبد ربه قد رصدت النزعة الحنينية للشباب، عند الشعراء فإن ابن قتيبة جعل الحنين الى الماضي عند الشعراء حنيناً مطلقاً لا يقتصر على فترة الشباب، لذا فقد صور الشعراء قصائدهم بشريحة نسيبية على وفق منظوره<sup>(٦)</sup>.

أما الحاضر في النص الشعري الجاهلي فلم يحظ بما حظي به الماضي. والحقيقة أن الشاعر الجاهلي بحركاته الاستذكارية للماضي ليست نزعة حنينية مطلقة، فأغلب الشعراء إذا تجاوزنا الشريحة الطللية يكون حضور الماضي سرداً لتجارب ماضوية قابلة للذكرى<sup>(٧)</sup> من أجل تجاوز أسى الحاضر؛ لذا نجد أغلب القصائد ذات البنى الطقوسية (التي تستهل بوقفة طللية) تليها حركة ارتدادية مضادة في مضمونها شريحة الطلل<sup>(٨)</sup>. فالطلل يمثل تجلياً مادياً لحركة الزمن وعلامة محسوسة على تفتت الوجود. فإن الشاعر يكسب عزماً جديداً ورغبة أكبر في الحياة، لأن العزم على الحياة والعمل ليس ممكناً الا اذا ادرك الانسان أن وجوده متناه وأن كل إمكانيات العمل تقع في هذه الحدود<sup>(٩)</sup>.

إذ تأتي الحركة الإرتدادية حركة تتسع بالامتلاء والخصب على العكس من صور الخواء المائلة في شريحة الطلل. فالحركة الارتدادية هي بمثابة فعل يُبعد شبح الزوال والخواء المهيمن على رؤية الشاعر يشاهد أو يستذكر صور الفناء المتجسدة في الطلل، ولكن ما قدمناه لا يكتسب طابع الاطلاق، إذ نجد نصوصاً تنزع نحو المستقبل يطغى فيها صوت الفردية المتجه لنهب المذات جزاء الوعي بحتمية الموت، متجاوزة الماضي والحاضر مدفوعة بإرادة القوة كونها ((موجودة بوصفها تابعة للمستقبل من حيث المبدأ وتريد الممكن وما يزال مفتوحاً))<sup>(١٠)</sup>. وهذه من النصوص تفصح عن رؤية وجودية متجاوزة الماضي وانجازاته منفتحة على امكانيات قابلة للتحقيق، يستشف هذا

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه: ٤٦/٣.

(٦) الشعر والشعراء: ٧٥/١

(٧) الوجودية، جون ماكوري: ٣٣١.

(٨) علام البدايات، أدونيس: ٨٢.

(٩) الوجودية في الشعر الجاهلي، فالتر براونه، مجلة المعرفة، دمشق، السنة الثانية، ع(٢)، ١٩٦٣: ١٦١.

(١٠) فلسفة نيتشه، اوفغند فنك: ٩٦.

من خلال إرادتها للممكنات، وهذه النصوص ينقطع فيها الحديث عن الماضي والانشغال به؛ لأن الماضي حدث تناهى وأصبح قبض الريح، والمهم هو المستقبل وما تتوافر فيه من امكانيات، كما هو الحال في النص قيد الدراسة.  
**البنية الزمانية والشرائحية للنص:**

يتشكّل النص من ثلاث شرائح:

الطلل، والتناوب بين الحاضر والماضي، والنزوع نحو المستقبل وفي كل هذه الشرائح يتوافق زمن النطق مع زمن النص، إذ تكون نقطة الانطلاق هي الحديث عن الحاضر تعقبها حركات استذكارية يشمل هذا الشريحتين الأوليتين في حين أن الشريحة الثالثة تتجه نحو المستقبل وعلى الرغم من أنّ القصيدة تتشكّل من ثلاث شرائح متوافقة في هذا الجانب مع رصد ابن قتيبة<sup>(١١)</sup> للبناء الثلاثي للقصيدة ومسايرة ستيتكيفيتش له<sup>(١٢)</sup> له وإن اختلفت رؤيتها التأويلية لهذا البناء الثلاثي إلا أن القصيدة قيد الدرس تحمل مغايرة لنتاج الشعري الثلاثي؛ كون الشريحة التالية للطلل هي شريحة ذات مضمون مأساوي عبر مقارنة بين الماضي والحاضر كشفت عن المفارقة الجادة بين امتلاء الماضي وخواء الحاضر. فالمعهد في القصيدة الثلاثية تأتي الشريحة الثنائية متضادة مضمونياً مع شريحة الطلل، فالأولى (الطلل) شريحة مسكونة بحبس فجائي تتحدث عن عبث الفعالية الانسانية وتلاشي انجازاته في فضاء غابت عنه كل مظاهر الحياة لتأتي الحركة التالية متضادة مضموناً مع الشريحة السابقة من أجل نزع فتيل التوتر المهيمن على رؤية الشاعر في شريحة الطلل<sup>(١٣)</sup>.

هذا ما يفسر لنا انسلاخ الشاعر عن الماضي والتوجه نحو المستقبل؛ لأنّ الحركات الاستذكارية كانت حركات مجهضة تُؤكّد على عدم عودة الماضي وهيمنة حاضر الخواء والعجز كما أكّده التكرار العمودي للضرورة الأسلوبية (فإن أمس مكروباً).

**كشف تجاوز الماضي وهيمنة المستقبل:**

(١١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٧٥/١.

(١٢) القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية، سوزان ستيتكيفيتش، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج(١)، ع

(٦٠)، يناير، ١٩٨٥: ٧٥-٧٦.

(١٣) الرؤى المقنّعة: ١٦٣.

عبر استهلال طقوسي ينطلق النص بالسؤال عن الطلل الدارس وعائديته بلازمة اسلوبية لمن طلل، إذ يقول<sup>(١٤)</sup>:

لِمَنْ طَلَّلْ أَبْصْرِيهِ فَشْجَانِي      كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِ  
دِيَارٌ لِهَنْدٍ وَالرِّيَابِ وَفَرْتَنِي      لِيَالِينَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانِ  
لِيَالِي يَدْعُونِي الْهُوَى فَأَجِيبُهُ      وَأَعِينُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِ

والسؤال سؤال عائم إذ لم تُحدد هوية المسؤول، مما يفتح القراءة على احتمالات متعددة. هل ان الشاعر يسأل شخصاً بعينه؟ أم يسأل نفسه ويناجيها كون الطلل في النص ليس مكاناً عابراً، وإنما أحدث أسىً وشجىً داخل الذات، هذا الشجى تولّد بعد فعل الإبصار (أبصرته) لينتج عن هذا الفعل شجىً وأسىً. فالطلل يبدو هساً يكاد أن يتلاشى، تجلّى هذا عبر اسلوب التشبيه (كخطّ زبور في عسيب يمان)، فضلاً عن الإشارة الى الهشاشة فإنّه يحمل غموضاً ورهبة كون الكتابة شيء ملغز تقترن دلالتها بالعصور القديمة وبالرّهبة والقدر<sup>(١٥)</sup>.

وفي علاقة التضاييف بين عسيب واليماني دلالات عميقة، فاليمين كما جاء في الأثر مكان للمعرفة والحكمة (الحكمة اليمانية)<sup>(١٦)</sup> وهذا يشير الى أنّ حضور اليمين تنبيه الذات الانسانية لحركة الزمن والسيرورة التي تحيل المكان الى فناء، والإنسان الى الضعف والشيوخوخة ثم الموت. فالمكان والزمان في أغلب النصوص الجاهلية لهما صورة متماثلة. فالمكان طلل لعبت به رياح الطبيعة وأمطارها وكادت أن تمحوه. أمّا الانسان فيظهر عاجزاً مشرفاً على الهلاك<sup>(١٧)</sup>. وهذا ما سنلاحظه في حديث الشاعر عن ذاته في اللحظة الحاضرة.

وبدلاً من أن يستمرّ الشاعر بتوصيف الطلل تأتينا الإجابة عن أهل المكان (ديار لهند والرياب وفرتنى). وهذا الاسلوب معتاد وراسخ عند الشعراء الجاهليين، الا أن المكان المهول يوحى بالهشاشة فهو (النّعف من بدلان) والنّعف

(١٤) ديوان امرؤ القيس: ٨٥.

(١٥) القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية، سوزان ستيتكفيتش، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج(١)، ع

(٦٠)، يناير، ١٩٨٥: ٦٢.

(١٦) صحيح مسلم: رقم الحديث (٥٢).

(١٧) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، كمال ابو ديب: ٣٢٤.

كما أشار الشارح<sup>(١٨)</sup> مكان بيني لا هو بالجبل ولا هو بالوادي إنّه مكان هامشي لا يكتسب هوية خاصة، وإنّما تشغل البيئونة لتؤطره أي هو المنحدر نحو الوادي، والوادي كما هو معلوم في الثقافة العربية يوحي بالخوف والرهبنة، يقول امرؤ القيس<sup>(١٩)</sup>:

ووادٍ كجوفِ العيرِ قفراً قطعته  
وتقول الخنساء مشيدة بشجاعة أخيها صخر<sup>(٢٠)</sup>:  
به الذئب يعوي كالخليع المعيل  
حمّال ألوية شاهد أندية  
هبط أودية للجيش جرّار

وضرب العرب المثل بخطورة الأودية، بقولها: ((حيّة الواد))<sup>(٢١)</sup> وهذا يحيل الى أنّ المكان المتحدث عنه مكان يفتقر إلى عنصر الدمومة وخاضعاً لشرط الصيرورة المقيت. يعضد حضور هذا لفظة (بدلان) التي إذا ما تجاوزنا دلالتها العلمية تُحيل الى التبدّل وعدم الثبات. ومع هذا فإنّ الزمان الذي قضاه الشاعر آنذاك زمان محببٍ إنّه زمن الحُب والمتعة على العكس من اللحظة الحاضرة، إذ كان الشاعر محبوباً تهفُّ إليه الفتيات تجسّد هذا عبر لفظة (روان) التي تدلُّ معجماً على استدامة النظر واستمراريته. أما الآن فالشاعر غير محبوب وان لم يصرّح، فالحضور يستدعي الغياب والمسكوت عنه يستشف من النزعة الحنينية الطاغية على ذات الشاعر لذلك الزمن.

إنّه لم يبّد حنينه لو أنّ حاضره يشيخ بالمتعة والخصب، وعند هذه النقطة ينقطع الحديث عن الطلل وزمنه لينفتح الحديث عن الحاضر يواكب هذا الحديث مقارنة بين اللحظة الحاضرة المزرية وبين ماضي القول والفتوة واللهو، إذ يقول<sup>(٢٢)</sup>:

فإن أُمسٍ مكروباً فيا رُبُّ بُهْمَةٍ  
وإن أُمسٍ مكروباً فيا رُبُّ قِينَةٍ  
كشفتُ إذا ما اسودَّ وجهُ الجبان  
منعمةً أعملتها بكران

(١٨) ديوان امرؤ القيس: ٢هـ: ٨٥.

(١٩) م.ن: ٣٧٢.

(٢٠) ديوان الخنساء: ٤٦.

(٢١) لسان العرب، ابن منظور: مادة ((حي)).

(٢٢) ديوان امرؤ القيس: ٨٦.



## لها مزهرٌ يعلو الخميس بصوته أجش إذا ما حركته اليدان

إذ تطغى حركة التناوب بين الحديث عن الماضي وعن الحاضر هذا التناوب يجسّد المفارقة الحادة بين ما كان وهو كائن فالحاضر كرب وأزمة دون توضيح وتفصيل، لأنّ كلمة كرب مشبعة بدلالات ايحائية تصوّر مدى الأسى الذي يعيشه الشاعر في حاضره فضلاً عن أنّ هذا الكرب يغطّي المستقبل؛ لأنّ جواب الشرط كان استحضاراً لزمانٍ ماضٍ وهذا يلمح الى أنّ مستقبل الشاعر ليس بأفضل من حاضره بل ربما يكون هو الأسوأ.

والماضي في النص حدث انتهى ليس قابلاً للتكرار في الحاضر والمستقبل، فالاستدكار هنا يحمل بعدين: بُعد فجائعي يكشف فعل الصيرورة في الذات الشاعرة (الماضي قوّة الحاضر ضعف).

أما البعد الثاني فيلمح الى فعل استعطافي للجماعة؛ لأنّ الانجاز الماضي التي قامت به الذات يحمل مردوداً اجتماعياً لا ذاتياً فالشجاعة وتقريج الكُرب من الأفعال التي أشادت بها وأقرتها المؤسسة الاجتماعية آنذاك، فكان الشاعر يقول ساعدوني لأنني أنا الشجاع الملتزم بقيم الجماعة، المدافع عن نفسها في زمن مضى. ليأتي البيت الثاني متمثلاً تركيبياً مع البيت الأول مما يوحي للمتلقّي أنّ مضمونه يتطابق مع البيت السابق؛ لكن يفاجئ أنّ الحركة الاستذكارية حركة تحمل طابعاً ذاتياً صرفاً، فالشاعر مارس اللهو في مجلس احتفالي وجعل المغنية طوع مشيئته (عملتها) والملاحظ أنّ الشاعر يميل الى الاستكانة والدعة من خلال منحها الحديث عن مجلس اللهو والمتعة مساحة لغوية أوسع، فضلاً عن اعلاء صوت العود (المزهر) على صوت الحرب (الخميس) فآلة اللهو قابلة لإطراب ومستجيبة لأية يد تحركها ليست مقصورة على ذات بعينها، إنّ صوت الحياة أعلى من صوت الموت وبدلاً من ان يستمرّ الشاعر في استدكار حركات اللهو والمتعة يرتد الى الحاضر عبر اللازمة الأسلوبية ذاتها وإن أمسّ مكروباً، إذ يقول<sup>(٢٣)</sup>:

وإن أمسّ مكروباً فيا ربّ غارة  
علي ربذ يزداد عفواً إذا جرى  
ويخدي على الصم صلابٍ ملاطسٍ  
شهدت على أقبّ رخو اللبان  
مسح حثيث الركض والذألان  
شديدات عقد لينات متان

(٢٣) ديوانه: ٨٦-٨٧.

وغيث من الوسمي حو تلاعه      تبطنته بشظم صلتان  
مكر مفر مقبل مدبر معاً      كتيس طباء الحلب العدوان  
إذا ما جنبناه تأود متنه      كعرق الرخامى اهتر في الهطلان

وهذه اللازمة توحى الى أنّ مضمون حركة الاستنكار تكون متماثلة مع سابقتها، الا أن الشاعر يُقدّم لنا مضموناً مغايراً على المستوى الانجازي ولكن على مستوى عائدة الانجاز، فكشف الغارة هو انجاز من أجل الجماعة تم عبر أداة توسطية هي الحصان، فضلاً عن أنّ الشاعر لم يكن منفرداً في الإغارة بل كان وسط مجموعة من الأنصار يوحى بهذا الفعل (شهدت) وهذا يوحي الى أن نزعة الفردية بدأت تتلاشى لا بسبب نزعة اجتماعية اخلاقية عن الذات، لكن بسبب ضغط الحاضر المزري الذي جعل الحركات الاستنكارية الفردية مبتسرة يعزز هذا استغراق الشاعر بتوصيف حصانه، إذ كان حضور الحصان حضوراً طاعياً فاق حضور الذات الشاعرة. إنّه حصان متكامل يتداخل وصفه مع موجودات أخرى فهو مسح، إذ تحيل هذه اللفظة الى المطر الشديد وبهذا يمتزج الحصان مع الطبيعة الصامتة. والذئب (ذؤالة) أحد اسماء الذئب كما اشار الشارح<sup>(٢٤)</sup> والى جانب هذا يتمتع بحوافر (صمّ) (ويحذي على صمّ صلاب)، هذه الصلابة تقوق الحجارة قوة بل تهشم الحجارة وتشظيها (ملاطس) ، فحوافر الحصان تستعصي على الفناء حتى أنّها تجاوزت عالم الأساطير فالحجارة كما هو في المعطى الاسطوري استعصت على الفناء وقهرت إله الزمن<sup>(٢٥)</sup>، لذا نجدها في المنجز الشعري تسم بسمه الخلود<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٤) ديوان امرئ القيس: ٨٦.

(٢٥) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، د. حسن نعمة: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢٦) يقول ليبيد بن أبي ربيعة العامري:

فوقفتُ أسألها وكيف سألنا      صم خوالد ما يبين كلامها

شرح ديوان ليبيد بن ابي ربيعة العامر: ٣٠٠.

ويقول تميم بن ابي مقبل:

ما أطيب العيش لو أنّ الفتى حجرٌ      تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

شرح ديوان تميم بن ابي مقبل: ٢٣١.

وبدلاً من أن يستمرّ النص في الحديث عن الغارة ونتائجها ينتقل الى فعل انجازي آخر عبر واو العطف مغيباً اللازمة (وإنّ أمسٍ مكروباً) ليتحدّث عن مرتع خصب امتلكه بفضل حصان خلع عليه صفات خارقة يشبه الى حدّ بعيد حصانه في المعلّقة يتجلّى هذا عبر التناص الداخلي (مكّرٍ مفرٍّ مقبلٍ مديبرٍ معاً)<sup>(٢٧)</sup>، ولكن الحصان يفارق حصان المعلّقة من جانبيين:

الأول: أن الحصان هنا حصان موصوف بفضائل الخصب والنماء لا حصان صيد، وفي الجانب الثاني يكون الحصان أقلّ قدرة في الجري من حصان المعلّقة الذي كان قيّد الأوابد. أمّا في النص الذي بين أيدينا أقلّ سرعة يتجلّى هذا من خلال البناء التشبيهي (كتيسٍ ظباء). وفضلاً عن كل ما تقدّم يمتزج الحصان بعناصر الطبيعة الأخرى، فحركته تشبه نبات لين مرتوٍ (كعرق الرخامة اهترّ في الهطلان).

علماً أنّ الشاعر مارس هذا الانجاز بمشاركة جماعية يدلّ على هذا حضور (ناء المتكلمين) التي قيّد بها الفعل (جنبناه). ان استغرق الشاعر في مشاركته الجماعية هو إلماح الى عجزه فلم يعد الانجاز الفردي حاضراً بل هيمنت الانجازات المشتركة. فذات الشاعر هنا ذات مشاركة ويبدو لنا أنّ هيمنة المشاركة على الحركات الاستنكارية جاءت دون وعي من الشاعر وهي حركة خلاصية من العجز والضعف الحاضرين. فالجماعة هي وحدة فيزيائية تستعصي على الفناء<sup>(٢٨)</sup> وكأنّ الشاعر لن تطاله يد الفناء طالما هو وسط الجماعة، ولكن النزعة الاجتماعية تتلاشى عبر جملة شعرية صاحبها حضور التصريح، إذ يقول<sup>(٢٩)</sup>:

تمتّع من الدنيا فإنّك فانٍ	من النشوات والنساء الحسان
من البيض كالآرام والأدم كالدمى	حواضئها، والمبرقات الرواني
أمن ذكر نيهانية حلّ أهلها	بجزع الملا عيناك تبتدران
فدمعُهما سكبٌ وسخٌ وديمّة	ورشٌ وتوكافٌ وتنهلان

(٢٧) ديوان امرؤ القيس: ١٩.

(٢٨) الرؤى المقنعة: ١٠١.

(٢٩) ديوان امرؤ القيس: ٨٧-٨٨.

## كأنهما مزادتا متعجّل فریان لَمَّا تُسَلِّقا بدهان

فقد جاءت الحركة منقطعة نحوياً وزمانياً عن اللوحة التي قبلها الى جانب حضور التصريح الذي يشير الى تحول دلالي كما في قول ابن رشيق: ((وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك إذا خرج من قصّة الى قصّة أو من وصف شيء آخر فيأتي بالتصريح إخباراً بذلك وتبنيهاً عليه))<sup>(٣٠)</sup>، إذ يظهر الشاعر رافضاً لنزعة الذوبان والاندماج في الجماعة. فعبّر اسلوب أمر يتوجّه الشاعر نحو ذاته داعيها للإنكباب على الملذات دون أيّ إلترام قيميّ أو اجتماعيّ. وخطاب الذات بوصفها آخر هو ما يسميه البلاغيون بالتجريد والفلاسفة بالتخارج، إنّه يريد أن يتجاوز تذكّر الماضي والاستغراق في الحاضر، فقد تحوّل الى ذات أخرى، ذات لا ترى جدوى من المشاركة الجماعية والالتزام بالمنظومات القيمة فتنبهه لحتمية الفناء ووعيه الحاد بهذه الحتمية جعلته ينخلع عن السنن القارّة، فعندما يسود الوعي يُصبح سلم القيم بلا فائدة<sup>(٣١)</sup>، وقد حصر الشاعر متعته في مجالين الأول الخمرة (النشوات) والثاني المرأة (النساء الحسان) وإذا كان المجال الأول حضر عبر تسمية مفردة فإنّ الشاعر يستغرق في توصيف المجال الثاني المرأة توصيفاً يحمل ثنائيات متضادة على مستوى البعد الخارجي والقيمي، يتمثّل البعد الخارجي في حضور ثنائية البياض والسُمّر (البياض، الأدم) وفي المجال القيمي تحضر ثنائية العفّة والتحرر (حواضن، مبرقات) فالحواضن كما يشير الشارح النساء العفيفات المحصنات والمبرقات النساء اللواتي تبرزن جمالهنّ وحليهنّ للرجال<sup>(٣٢)</sup>. فإذا كانت الثنائية الأولى (البياض، السُمّر) ممكنة كونها بُعداً خارجياً يمكن الوصول اليه فإنّ الجمع بين العفيف واللاعيف غير معقول وهذه اللامعقولية في الواقع تقبل المنطقية والمعقولية في الشعر؛ لأنّ الشعر له منطقته الخاصّ الذي لا يخضع للمنطق العادي<sup>(٣٣)</sup>.

إنّ الشاعر لا تهمة التضادات والمتناقضات طالما أنّها امكانيات قابلة للتحقيق ومجال لإفراغ اللذة. ورؤية الشاعر هنا ليست رؤية مستحدثة، إذ نجد صداها في خطاب سدروي لكلّامش عندما كان في طريقه الى الوصول

(٣٠) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ١٧٣/١.

(٣١) العبث: البير كامو: ١٩.

(٣٢) ديوان امرئ القيس: ١٣-١٤-٨٨.

(٣٣) الزمن في الأدب، هانز ميري هوف: ٢٩.

لنبته الخلود، إذ دعتة الى عدم جدوى البحث عن الخلود؛ لذا عليه أن ينهمك في عالم اللذات الجسدية والسمعية<sup>(٣٤)</sup> ومنذ أن ادرك الانسان حتمية الموت وصرخات سدروي ترن في اذنيه؛ لأن البحث عن الخلود خروج على قوانين الآلهة والطبيعة؛ لذا يجب أن تكون البطولة على وفق منظور سدروي وامرئ القيس استجابة ((في اطار الاندفاع الى شحن الحياة بطاقات مادية- نفسية هائلة، تمنح الانسان الحس بالامتلاء في وجه فراغ الموت: تمنحه الحياة هنا (الممكن) بدلاً من الحياة هناك (المستحيل))<sup>(٣٥)</sup>.

إنّ التوجّه نحو المستقبل والانفتاح على عالم الممكنات يتوجب أن تتجاوز الذات النزعات الحنينية؛ لأنها لا تتناسب قلقاً وجودياً يرى أنّ الوجود الحقيقي يكمن في الفعل لا التأمل. فالذات الوجودية تُؤكّد وجودها بالفعل لا التأمل<sup>(٣٦)</sup>، هذا ما يتجلّى في انكار الشاعر نزعة الحنين التي تهيمن على ذاته في الحاضر، تجلى هذا عبر اسلوب استفهامي (أمن ذكر نبهائية) إنّ النبهانية الغائبة هي كما يقول الفلاسفة إمكانية غير قابلة للتحقيق، لذا على ذاته أن تتجه نحو الممكن والمستقبل؛ لأنّ المرأة المفارقة (النبهانية) ليست هي الممكنة الوحيدة فثمة امكانيات متعددة كما أسلفنا (سمر، بيض، عفيفات، لا عفيفات) وبهذا فإنّ اختيار امرئ القيس لمتعدد وتجاوز حصر امكانياته بمجال واحد ويمارس الاختيار بوصفه فعلاً مؤدياً للحرية المتاحة بين نقطتين لا اختياريين هما الولادة والعدم. فالمساحة الوجودية للذات تنحصر بين هاتين النقطتين وعلى الذات كما يرى امرؤ القيس - متوافقاً مع الفلاسفة الوجوديين<sup>(٣٧)</sup> أن تنتهي الذات ولا تتوقف عن الفعل ولا تنتهي بتحقيق بإمكانية واحدة وهذه الرؤية نجد صداها في ختامه للاميته، إذ يقول<sup>(٣٨)</sup>:

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرک أطراف الخطوب ولا آل

ولكن امرؤ القيس يفارق الوجوديين، لأنه يقدم رؤية شعرية انفعالية لا تقوم على أسس منطقية.

(٣٤) الرؤى المقنعة: ٣٥٧.

(٣٥) م.ن: ٣٥٧.

(٣٦) الزمان الوجودي، عبدالرحمن بدوي: ١٥٤.

(٣٧) القلق الوجودي الثمن الباهض للحرية، جوي سالم، الإخبار/١٠/٥/٢٠١٨. و [wiki.ai.wikipedia.org](http://wiki.ai.wikipedia.org).

(٣٨) ديوان امرئ القيس: ٣٩.

## الخاتمة

لعلّ أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أنّ موقف الثقافات أو الأفراد متباين تجاه آفات الزمن وذلك جرّاء عوامل اقتصادية واجتماعية. وكان الموقف عندهم خاضعاً للشرط التاريخي الذي يحيط بالثقافة أو الفرد. وقصيدة امرئ القيس وإن كانت ذات بنية طقوسية تشكّلت من ثلاث شرائح إلا أنها تغيّر في مضمونها والنصوص ذات الشرائح الثلاثية كون الشريحة التالية للطلل في هذه القصيدة لم تكن حركة خلاصية مضادة لمظاهر الخواء في الشريحة الطللية. إذ إنّ الحركات الاستنكارية كانت محببة سلفاً لطغيان أسي الحاضر المعبر عنه في اللازمة ((إن أمسٍ مكروباً))، وكانت الحركات الاستنكارية موزعة بين استنكار انجاز فردي وانجاز جماعي ولكنها لم تنزع فتيل التوتر المهيمن على الذات الشاعرة، لتأتي حركة الانفصال إذا جاز التعبير وغيبّ الزمان الماضي والحاضر ليكن الانشغال بالمستقبل وكيفية استغلاله هو المهيمن، وقد تولّدت هذه الرؤية جرّاء وعي الشاعر الحاد بحتمية الفناء فانطلق لتقديم رؤية تدعو الى نهب اللذات قدر الوسع والطاقة وهذه الرؤية تتوافق الى حدّ ما مع رؤية الفلاسفة الوجوديين.

## المصادر والمراجع

- ديوان الخنساء، تحقيق حمدة طماس، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، د. ت.
- ديوان تميم بن ابي مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دار احياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢.
- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي (البنية والرؤيا)، د. كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة، مصر، ١٩٨٦.
- الزمان الوجودي، د. عبدالرحمن بدوي، كلية النهضة المصرية، مصر، ط٢، ١٩٥٥.
- الزمن في الأدب، هانز ميري هوف، ترجمة: أسعد مرزوق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٧٢.
- شرح ديوان لبيد بن ابي ربيعة العامري، تحقيق احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢.
- الشعر والشعراء، محمد بن قتيبة الدينوري، تحقيق احمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦.
- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٥.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٣٤.
- فلسفة نيتشه، أوين فلك، ترجمة: الياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٤.
- كلام البدايات، ادونيس، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٩.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
- ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ومعجم أهم المعبودات، د. حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٤.
- الوجودية في الشعر الجاهلي، فالتر براونة، مجلة المعرفة، دمشق، السنة الثانية، ع٢، ١٩٦٣.
- الوجودية، جون ماكوري، ترجمة: امام عبدالفتاح امام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٧ ، العدد (١) ، لسنة ٢٠٢١

*College of Basic Education Researchers Journal*

ISSN: 7452-1992 Vol. (17), No.(1), (2021)

### المجالات:

- القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية، سوزان ستينكفيتش، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج(١)، ع (٦٠)، يناير، ١٩٨٥.

### مصادر الشبكة العنكبوتية:

- خمسة العصور الانسان في الاساطير اليونانية وفقاً لهسيود [www.greelan.org/wiki](http://www.greelan.org/wiki)
- رباعيات الخيام ويكيبيديا [Atzim.wikipedia.org/wiki](http://Atzim.wikipedia.org/wiki)
- القلق الوجودي الثمن الباهض للحرية: جون سالم الإخبار ٢٠١٨/١٠/٥  
[Wiki.aim.wikipedia.org](http://Wiki.aim.wikipedia.org)
- مائدة افلاطون، سورين كير كيجارد رؤية بيديا [Index.www.roayapedia.org](http://Index.www.roayapedia.org)